الفصل الخامس

العبادات

معنى العبادة – الصلاة – الصوم – الزكاة – الحج – غاية الاسلام .

قد بينا في الفصل السابق أن النبي محمداً ﷺ أمرنا أن نؤمن :

١ – بالله تعالى وحده لا شريك له .

٢ – وبملائكته .

٣ – وبكتبه وبالقرآن على الأخص .

٤ – وبأنبيائه وبخاتمهم محمد ﷺ على الأخص .

٥ – وبالحياة الآخرة .

هذا هو أساس الاسلام .

انك اذا آمنت بهذه الأمور الخمسة ، فقد دخلت في زمرة المسلمين وأصبحت فرداً منهم ، ولكنك لم تستكمل اسلامك بعد ، فان المرء لا يستكمل اسلامه الا اذا أطاع ما جاء به النبي ﷺ من الاحكام والاوامر من عند الله تعالى ، فان ايمانك بشيء يستلزمك أن تطيعه . وهذه الطاعة بعد الايمان هي الاسلام . قد أقررتَ أن الله وحده هو الـهك ، فمعناه أنه سيدك وأنت عبده وأنه مالكك وآمرك وناهيك وأنت المطيع

لأمره ونهيه والقائم عند حدوده . فاذا عصيته بعد ذلك ، فقد اقترفت جريمة الخروج على سيدك بموجب اقرارك أنت . ثم انك قد أقررت بأن القرآن كتاب الله ، فمعنى ذلك أنك سلمت بأن كل ما في هـذا الكتاب هو الحق من عنـد الله ، وذلك ما يوجب عليك أن تصدق به وتطيعه في كل أمر من أوامره ونهي من نواهيه . ثم أقررت أن محمـداً ﷺ رسول الله . فمعنى ذلك أنك أقررت بأن كل مـــا يأمر به النبي ﷺ او ينهى عنه ، انما هو من عند الله تعـــالى ، وذلك ما يوجب عليك طاعته ﷺ . لذا فلن تستكمل اسلامك الا اذا جاء عملك وفقاً لايمانك ، والا فعلى قدر ما يكون الفرق بين ايمانك وعملك ، يكون ايمانك ناقصاً غير كامل .

وتعال نتبين ذلك الطريق الذي أمر النبي محمـد ﷺ أن نسلكه لقضاء حياتنا وفقاً لمرضاة الله تعـــالى . وأول شيء في هذا الباب هو « العبادات المكتوبة » .

معنى العبادة :

العبادة هي العبودية معنى وحقيقة . أنت عبد والله معبودك . فكل ما يأتي به العبد في طاعة معبوده هو العبادة . فمثلاً اذا كلمت النـاس واجتنبت الكذب والغيبة والفحش والبذاءة في كلامك لهم لأن الله قد نهاك أن تأتي بهذه الامور وتحريت الصدق والعدل والمعروف والخير في كلامك لهم لأن الله يحب هذه الامور ، فكلامك هذا عبادة لله تعـالى ولو كان كله عن شؤونك الدنيوية . وكذلك اذا عاملت الناس ومشيت في الأسواق مشترياً وبائعاً وعاشرت أباك وامك واخوتك وأهلك وجالست

اصدقاءك وذوي قرباك مراعياً في كل ذلك احكام ربك وقوانينه واديت الى كل ذي حق حقه لأن الله قد أمرك بادائه اليه ، وما بخست أحداً شيئاً من حقه لأن الله نهاك عن ذلك ، فقد قضيت حياتك هذه كلها في عبادة الله تعالى . وكذلك اذا أحسنت الى مسكين او نصرت مظلوماً او أطعمت جائعاً او واسيت مريضاً وجعلت نصب عينك في كل هذا وجه الله تعالى دون طلب منفعة او عزة او سمعة ذاتية ، عُدّ كل ذلك من عبادتك لله تعالى . وكذلك اذا تعاطيت التجارة أو الصناعة او اشتغلت بالخدمة واديت ما عليك من الواجب بكل أمانة وصدق اتقاء لله تعالى ثم كسبت الحلال وتجنبت الحرام ، كان كسبك هذا وسعيك في سبيله عبادة لله تعالى ، مع انك ما قمت بكل ذلك الا لتكسب الرزق لنفسك .

وجملة القول ان خوفك لله تعالى في كل شأن من شؤون حياتك وفي كل حين من أحيانك وجعلك مرضاة الله نصب عينك واتباعك لقانونه ورفضك لكل منفعة تنالها او يمكن أن تنالها بمعصيته وصبرك على كل مضرة تصيبك او يمكن أن تصيبك بطاعته ، ذلك كله من عبادتك لله تعالى وحياتك بهذا الطريق من اولها الى آخرها عبادة ، وليس الأكل والشرب والنوم واليقظة والقعود والقيام والمشي والكلام والسكوت الا من العبادة في حياة كهذه .

هذه هي العبادة وهذا هو معناها الحقيقي . وما غرض الاسلام الا أن يجعل الانسان عبداً يعبد الله مثل هذه العبادة في كل حين من أحيانه ، وقد افترض عليه لهذا الغرض مجموعة من العبادات تُهَيِّئُه لهذه العبادة الكبيرة ، فكأنه ليست هذه العبادات المفروضة الا بمثابة

التربية للعبادة الكبيرة المنشودة . فكل من يتلقى هذه التربية على أحسن وجه ، يؤدي العبادة الحقيقية على الوجه المراد . ومن أجل ذلك جعلت هذه العبادات عين الفريضة في الاسلام وقيل أنها أركان الدين أي دعائمه التي يقوم عليها بناؤه . فكما لا يقوم كل بناء الا على مجموعة من الدعائم ، كذلك لا يقوم بناء الحياة الاسلامية الا على هذه الدعائم . ثمن هدمها ، فقد هدم بناء الاسلام نفسه .

الصلاة :

الركن الأول من اركان الاسلام الصلاة . وما الصلاة في حقيقة الأمر الا أن تعيد بلسانك وأعمالك خمس مرات في الليل والنهار ذكر ما قد آمنت به . فاذا استيقظت صباحاً ، مثلت بين يدي ربك طاهراً نظيفاً قبل أن تشتغل بشيء آخر ، ثم أقررت بين يديه بعبوديتك له قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً واستعنته واستهديته وجددت ما بينك وبينه من ميثاق الطاعة والعبودية واعدت مرة بعد مرة امتثالك في نيل رضاه والابتعاد عن غضبه ، واعدت درس كتابه وشهدت بصدق رسوله وذكرت يوماً ترجع فيه الى محكمته لتسأل فيها عن أعمالك ثم تنال عليها الجزاء الذي تستحقه . . . بهذا يبتدىء نهارك . ثم اذا اشتغلت ساعات بأعمالك ناداك المؤذن ان هلم الى ذكر الله واعد درسك مرة اخرى لئلا تنساه وتكون من الغافلين ، فنهضت من مكانك وبعد ان جددت الايمان رجعت الى الدنيا واشتغلت بشؤونها ثم ناداك المؤذن مرة ثالثة لصلاة العصر بعد ساعات ، ثم اذا أدبر النهار وأقبل الليل بدأت ليلك بما كنت بدأت به نهارك من ذكر الله تعالى وعبادته كيلا تنسى

درسك في الليل . ثم اذا جاء وقت النوم بعد قليل ، صليت صلاة العشاء وذكرت ربك المرة الاخيرة فانه وقت الهدوء والطمأنينة ولك أن تتمتع فيه من الهدوء والسكينة بما عسى أن يكون قد فاتك في ضوضاء النهار وغوغاء المعاش .

ان الصلاة هي التي لا تنفك تدعم أساس اسلامك خمس مرات في كل يوم وتُعِدُّك للعبادة العالية الحقيقية التي قد ذكرناها لك آنفاً . وهي التي تذكرك دائماً بالعقائد التي تنحصر فيها طهارة نفسك وارتقاء روحك وصلاح أخلاقك وأعمالك . افرأيت لماذا تتبع في وضوئك ذلك الطريق الخاص الذي علمه الرسول ﷺ ولماذا تقرأ في صلاتك بتلك الكلمات التي علمها الرسول ﷺ ؟ أليس ذلك لأنك ترى طاعة الرسول واجبة على نفسك ؟ ولماذا لا تخطىء عمداً في ما تقرأ من القرآن في صلاتك ؟ أليس ذلك لأنك موقن بأن القرآن كتاب الله ؟ ومن ذا الذي تخشاه اذا قرأت في صلاتك بكلمات دون الكلمات التي علمها الرسول او لم تقرأ بها أصلاً ، وما هنالك من احد من البشر يسمعك تقرأ في صلاتك بشيء او لا تقرأ ؟ أليس ذلك لمجرد علمك ان الله يسمعك ولا يخفى عليه امرك عندما تقرأ خفية في نفسك ؟ وما الذي يوقظك من النوم ويدعوك الى الصلاة حيث لا يراك أحد ؟ أفهو غير اعتقادك ان الله يراك ؟ وما الذي يدعوك الى أن تذر ما تكون فيه من شغلك وتسعى الى الصلاة اذا جاء وقتها ؟ أفليس شعورك بأن الله هو الذي فرض عليك هذه الصلاة ؟ وما الذي يجبرك على الصلاة وقت الصبح شتاء ووقت الظهيرة صيفاً ووقت اللعب والطرب مساء كل يوم ؟ أفهذا شيء غير شعورك بالواجب ؟ ثم لماذا تخاف اذا لم تصل او اذا أخطأت في

صلاتك عمداً ؟ افلذلك سبب غير انك تخاف الله وتعلم انك سترجع اليه وتقوم بين يديه يوم القيامة ؟ قل لي بالله بعد كل ذلك هل يمكن أن تكون في الدنيا تربية خير من الصلاة تجعل المرء مسلماً حقاً ؟ وهل يمكن أن تكون للانسان تربية خيراً من أن يجدد ذكر الله تعالى وخشيته واليقين بكونه خبيراً بصيراً والاعتقاد بالحضور في محكمته يوم القيامة ويتبع الرسول عدة مرات في ليله ونهاره ويتدرب على القيام بالواجب بعد كل ساعات من يومه وليله ؟ ان هذا الرجل يرجى منه عندما يشتغل بامور معاشه بعد خروجه من المسجد أن يخاف الله ويتبع قانونه ويتذكر عند كل خطيئة يزينها الشيطان في قلبه ان الله ناظره ولا يخفى عليه أمر من اموره . أما اذا كان المرء لا يخاف الله ولا يكف يده عن معصيته ومخالفة أحكامه بعد هذه التربية العالية ، فما ذلك لسقم في الصلاة نفسها وانما ذلك لما في نفس هذا الانسان وطبيعته من الفساد والخبث والشر .

ثم إن الله قد أكد تأكيداً شديداً ان يؤدي المسلمون فريضة الصلاة جماعة وافترض عليهم ان يؤدوا صلاة الجمعة . في كل اسبوع بالجماعة على الوجه الخاص . والصلاة جماعة تنشىء الاتحاد والمحبة والاخاء بين المسلمين وتجعل منهم كتلة متراصة ، فانهم عندما يجتمعون ويقفون لربهم ويسجدون له ويركعون معاً ، تأتلف قلوبهم وينشأ فيهم الشعور بأنهم أخوة في ما بينهم . ثم ان الصلاة في جماعة تدربهم على طاعة أمير ينتخبونه من بين أنفسهم وتربيهم على النظام والانضباط والمحافظة على الاوقات ، مما ينشىء فيهم المؤاساة والتعاطف والتراحم والمساواة والائتلاف ، فتراهم جميعاً

عنهم وفقيرهم وكبيرهم وصغيرهم واعلاهم وادناهم ، يقومون جنباً إلى جنب ، فلا شريف فيهم ولا دني، ولا رفيع ولا وضيع .

هذا نزر يسير مما تعود به الصلاة على أنفسكم ، لا على ربكم ، من المنافع . والله تعالى لم يفترض عليكم الصلاة إلا لصالحكم انتم وما غضبه عندما لا تؤدونها لأنكم قد أصبتموه بشيء من الضرر ، بل لأنكم ظلمتم أنفسكم . انظروا اية قوة عظيمة ينعم بها الله عليكم بواسطة الصلاة ثم انتم معرضون ؟ فيا للخجل ! تقرون بالسنتكم بالوهية الاله وطاعة الرسول ومسؤولية الآخرة . ثم لا تؤدون اكبر واجب قد فرضه عليكم ربكم ؟ إن أمركم أحد اثنين : اما انكم تنكرون ان الصلاة فريضة من الله أو تقرون بكونها فريضة من الله ولكن تعرضون عن ادائها فإن كنتم تنكرون انها فريضة ، فانكم تكذبون بالقرآن وتكذبون الرسول ﷺ ، فما دعواكم بالايمان بها الا دعوى كاذبة . وان كنتم لا تؤدونها مع اقراركم بكونها فريضة من الله ، فكفى به ان يذهب عن قلوب الناس الثقة بأمانتكم : تخونون فريضة الله عليكم ، فكيف يرجى منكم ألا تخونوا حقوق الناس وأماناتهم ؟ !

الصوم :

والركن الثاني من اركان الاسلام الصوم . وما ادراك ما هو الصوم ؟ ان الدرس الذي تذكر به الصلاة خمس مرات في الليل والنهار ، يذكر به الصوم في كل حين من الاحيان مدة شهر كامل من السنة . فاذا جاء رمضان ، انقطعت عن الأكل والشرب من الفجر الى المساء . وبينما أنت تأكل وتشرب ، اذا بالصبح يبلج واذا بك تسمع الآذان

فتمسك يدك عن الطعام وشرابك دفعة واحدة ومهما جاءك بعدئذ من طعام شهي وشراب هنيء واشتد بك الجوع والعطش ، فانك لا تقربها حتى غروب الشمس . ولا يقف الأمر عند امتناعك عن الطعام والشراب امام أنظار الناس ، بل لا تقربها أيضاً في وحدتك التي لا يراك فيها أحد . ففي أثناء هذه الساعات — من الفجر إلى غروب الشمس — لا تتجرع جرعة من الماء ولا تبتلع لقمة من الطعام . ولكن هذا الامتناع عن الطعام والشراب لا يمتد إلا إلى حين محدد . فاذا غربت الشمس وسمعت آذان المغرب ، اسرعت الى الافطار . وتقيم الليل تأكل وتشرب ما تشاء هنيئاً مريئاً . تفكر ! ما هذا الذي تصنع ؟ لا شك ان من ورائه خشية الله تعالى واليقين بكونه خبيراً بصيراً والايمان باليوم الآخر والحضور في محكمة الله والطاعة الشديدة للقرآن والرسول والشعور القوي بالواجب والمران على الصبر والتجلد والقدرة على التغلب على الشهوات النفسانية . يأتيكم شهر رمضان كل عام ليعنى بتربيتكم ثلاثين يوماً كاملاً على هذه الصفات والاخلاق العالية حتى تكون مسلماً كاملاً حقاً وتجعلك هذه الصفات والاخلاق قابلاً للقيام بالعبادة الحقيقية التي يجب أن يؤديها المسلم في كل لحظة من لحظات حياته .

ثم ان الله تعالى لم يفترض الصيام على المسلمين جميعاً الا في شهر واحد بعينه ليصوموا جميعاً لا متفرقين . وفي ذلك كثير من المنافع ايضاً . فاذا جاء شهر رمضان ، اظل المجتمع المسلم كلّه جو من الطهارة والنظافة والايمان وخشية الله وطاعة احكامه ودماثة الاخلاق وحسن الاعمال وكسدت سوق المنكرات وعم انتشار الخيرات والحسنات وبدأ الصالحون من عباد الله يتعاونون في ما بينهم على اعمال البر والاحسان وبدأ يعتري

الاشرار الخجل من اقتراف المنكرات ونشأت في الاغنياء عاطفة للساعدة لاخوانهم الفقراء والمساكين وبدأوا ينفقون أموالهم في سبيل الله ، واصبح المسلمون جميعاً في حالة متماثلة . وكل ذلك يكوّن فيهم الشعور العام بأنهم جميعاً جماعة واحدة . وتلك وسيلة ناجعة لتنشأ فيهم عاطفة التحاب والاخاء والمواساة والتعاون والوحدة .

ولا نرجع هذه المنافع كلهـا الا على أنفسنا ، وما لله من فائدة في اجاعتنا وهو لم يفترض علينا صيام شهر رمضان الا لصالحنـا ، فالذين لا يؤدون هذه الفريضة بغير ما سبب ، إنمـا يظلمون أنفسهم . واكثر منهم وقاحة واشنع منهم طريقة اولئك الذين يأكلون ويشربون في شهر رمضان علناً بلا احتشام ولا خجل ، كأنهم يعلنون ان لسنا من جماعة المسلمين ولا نحفل باحكام دينهم ، بل نحن من الذين لا يشق عليهم الخروج من جماعة المسلمين ولا يأخذهم الخجل من الخروج على خالقهم ورازقهم ولا يتحرجون عن مخـالفة القـانون الذي اوجبه عليهم زعيمهم الاكبر (ﷺ) ، كيف يرجى فيهم شيء من الوفاء والامانة والاخلاق والشعور بالواجب والمحافظة على القانون ؟

الزكاة :

والركن الثالث من أركان الاسلام « الزكاة » . والله تعالى قد فرض على كل فرد من أفراد المسلمين اذا زاد ماله عن النصاب وحال عليه الحول (العام) الكامل ، فعليه ان يؤدي زكاته الى رجل من الفقراء أو المساكين أو أبناء السبيل أو المهتدين الى الاسلام أو الغارمين .

فهكذا جعل الله تعالى في أموال الأغنيـاء من المؤمنين حقاً معلوماً للفقراء قدره $2\frac{1}{2}\%$. ومن تطوع فوق ذلك ، فهو خير له واعظم اجراً .

وهذا الحق أو النصيب المعلوم لاينال الله تعالى وما هو بحاجة إليه . ولكنه يقول لعباده انكم إذا تصدقتم بشيء على أخيكم المسكين لأجلي وابتغاء لوجهي بطيب خاطر وانشراح صدر منكم ، فقد تصدقتم به علي ، ولكن على ألا تمنوا عليه ولا تؤذوه ولا تحقروه ولا ترجوا منه جزاءً ولا شكوراً ولا تقوموا بذلك ليعلم الناس صدقاتكم ويتذاكروها وليشيروا إليكم بالبنان . فان أديتم إلى الفقراء والمساكين والمحتاجين ما قد جعلتُ لهم من نصيب في أموالكم مطهرين قلوبكم من مثل هذه الأفكار الباطلة والظنون السافلة ، أعطيتكم من أموالي العظيمة نصيباً لا ينفدُ ولا يبلى .

ان الله قد افترض علينا هذه الزكاة ، كما افترض علينا الصلاة والصيام ، وهي ركن مهم من أركان الإسلام لأنها تحلي المسلمين بأوصاف التضحية والايثار لوجه الله تعالى وتزيل عن قلوبهم الأثرة وحب الذات وضيق الصدر وعبودية المال وما إليها من الصفات الدنيئة الأخرى . لا حاجة للاسلام إلى البخيل الشحيح الذي يعبد المال ويتكالب عليه ، فانه لاينفعه في قليل ولا كثير ، ولا يهتدي إلى الإســـلام ويتبع طريقه المستقيم ويسلكه سلوكاً مستمراً إلا من إذا جاءه أمر من أوامر الله ضحى في سبيله بمـــاله الذي اكتسبه بعرق جبينـــه بدون أدنى غرض ذاتي . والزكاة تروض المسلم على هـذه التضحية وتجعله قابلاً لئلا يثّاقل إلى امواله ولا يجعل يده مغلولة إلى عنقه إذا بلغ الأمر مبلغ الجد واقتضى بذل المال بل ينفقها بكل انشراح وطيب خاطر منه .

ومن فوائد الزكاة في الدنيا أن يتناصر المسلمون ويتكافلوا في ما بينهم حق لا يبقى فيهم عارٍ ولا جائع ولا مهين ويكفلَ غنيهم فقيرهم ويعاف فقيرهم أن يبسط يده إلى الغني بالاستمداد ولا ينفق أحد أمواله في البذخ

والترف ويعلمَ أن في أمواله حقاً لليتامى والأيامى والفقراء والمساكين من أبناء أمته وأن فيها حقاً للذين يقدرون على العمل ولكن لايجدون إليه سبيلاً لما يعوزهم من المال وأن فيها حقاً للاطفال الذين فطروا على الذكاء والفطنة ولكن لا يقدرون تحصيل العلم من جراء فقرهم ، وأن فيها حقاً للعجزة الذين لم يعودوا قادرين على العمل . فكل غني لايعترف في ثروته بهذه الحقوق ، ظالم . وأي ظلم أشنع من أن يكون عندك من الثروة الضخمة وأسباب الترف والرفاه ما لا يكاد يأتي تحت الحصر وتترفل في قصورك الشامخة وتتنعم بركوب سياراتك السائرة ، وحولك ألوف من إخوانك الفقراء الذين لا يكادون يجدون سبيلاً إلى كسرة من الخبز وألوف من القادرين على العمل يهيمون على وجوههم عاطلين . فالإسلام يبغض مثل هذا الرجل ويحارب عاطفة أثرته . وما هذه الأثرة إلا من شيمة الكفار الذين تعلمهم مدنيتهم أن يدخروا عندهم كل ماتصل إليه أيديهم من الثروة ويرابوا بها ، ويجلبوا منها إلى أنفسهم كل ما في أيدي الناس الآخرين . أما المسلمون ، فيعلمهم دينهم أنه إذا وهب الله لكم من الرزق ما زاد عن حاجتكم ، فلا تكنزوه وأعطوه إخوانكم الذين يفقدونه ليسدوا حاجاتهم ويعودوا قادرين على كسب معيشتهم كما تكسبون معيشتكم انتم .

الحج :

والركن الرابع من أركان الاسلام « الحج » وما فرضه الإسلام إلا على الذين يستطيعون السبيل إلى مكة من أغنياء المسلمين ، وما فرضه عليهم إلا مرة في عمرهم .

بنى خليل الله إبراهيم عليه السلام بيتاً صغيراً لعبادة الله قبل بضعة آلاف من السنين حيث تقع اليوم مكة المكرمة ، فتقبل الله تعالى سعيه وشكر حبه واخلاصه حتى نسب هذا البيت إلى نفسه وقال من أراد أن يعبدني فعليه أن يعبدني موليـاً وجهه إلى هذا البيت ، ومن استطاع السبيل إلى هذا البيت فعليه أن يزوره مرة في عمره على الأقل ويطف به بمثل الحب الذي كان يطوفه به عبدي وخليلي إبراهيم عليه الصلاة والسلام . وكذلك أمر الله تعالى أنّ إذا نويتم الحج وخرجتم من بيوتكم مريدين هذا البيت الحرام ، فطهروا قلوبكم واكبحوا شهواتكم النفسية واجتنبوا الفسوق والجـدال وسفك الدماء والفحش من الكلام واتوه بما يجب عليكم أن تكونوا عليه عندما تمثلون بين يدي ربكم من الأدب والاحترام والعجز والخشوع واعلموا أنكم متوجهون إلى ذلك الملك المقتدر الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما والذي يفتقر إليه كل من سواه . واعلموا أنكم إذا مثلتم بين ايدينا بمثل هذا العجز والضراعة والخشوع والاخلاص وادّيتم ما عليكم من عبادتنا بانابة القلب وصفاء النية ، فاننا سنعطيكم من عندنا أجراً عظيماً .

وإذا نظرت في الحج بنظرة أخرى فانه أهم عبادة لله تعالى وأعظمها شأناً ، فلماذا يفارق الإنسان عمله وتجارته وابناءه واصدقاءه ويعاني وعثاء السفر الطويل ومشقاته ان كان قلبه خالياً من حب الله تعالى ؟ فنفس قصد الإنسان حجّ البيت دليل على اخلاصه وحبه لله تعالى . ثم ان الانسان عندما يخرج من بيته ويبدأ الرحـلة إلى بيت الله الحرام ، لا يكون شأنه فيها شأنه في عامة الرحلات ، فان جل همه يكون في هـذه الرحلة منصرفاً إلى الله تعالى ولا تزداد في قلبه عواطف الحب

والاشتياق إلى بيته الحرام . وعلى قدر ما ينطوي عليه بُعد السفر ويشعر بدنو الكعبة ، تزداد فيه عاطفة الحب وتتضاعف جاذبية الشوق ويتنفر قلبه من الذنوب والمعاصي ويندم على ذنوبه السالفة ويدعو ربه ويتضرع إليه أن يوفقه لطاعته في الأيام الباقية من حياته ويبدأ يشعر بلذة غير عادية في ذكر الله تعالى وعبادته ويسجد سجدات طويلة لا يطيب له أن يرفع منها رأسه . وكذلك عندما يتلو القرآن ، فشتان بين ما يحسه من اللذة الآن وما كان يحسه منها من قبل . وعندما يصوم ، يجد حلاوة ما كان يجدها من قبل ثم عندما يدخل أرض الحجاز ويطأها بقدمه ، يتمثل في عينيه تاريخ الاسلام في مراحله الأولى ويشاهد في كل بقعة من بقاع الأرض الطاهرة آثار الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه واحبوه وضحوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم وتشهد له كل ذرة رملية في هذه الأرض بعظمة الاسلام وتنطق كل حصاة من حصاها بأن هذه هي الأرض المقدسة التي تولد فيها الاسلام وانبثق منها نوره وعلت منها كلمته . فهكذا يمتلىء قلب المسلم واماً بالله تعالى وحباً لدينه . فعندما يرجع إلى وطنه ، يجد في قلبه أثراً من آثار الإسلام لا يمحى إلى آخر أيام حياته .

والحج فيه كثير من المنافع الدنيوية الى هذه المنافع الدينية . فمنها أن مكة المكرمة قد جعلت مركزاً للمسلمين تهوى اليه نفوسهم من جميع نواحي الأرض على اختلاف سلالاتهم وأوطانهم ، فيشعرون أنهم اخوة في ما بينهم وأنهم لا يؤلفون بمجموعهم الا أمة واحدة ، فكأن الحج هو عبادة لله تعالى في جانب ، ومؤتمر عالمي سنوي يفد اليه المسلمون من جميع نواحي الأرض واقطارها بالجانب الآخر ، فهو أكبر

وسيلة وأنجع طريقة لتربية الاخوة الاسلامية العالمية على الاتحاد والمحبة والتعاون .

حماية الاسلام :

وآخر فرائض الله على عباده هي حماية الاسلام . وهذه الحماية . وان لم تكن من أركان الاسلام ، ولكنها فريضة مهمة من فرائض الاسلام وقد أبديء وأعيد في ذكرها في الكتاب والسنة في غير موضع فما هي حماية الاسلام ولماذا افترضها الله على المسلمين ؟ يمكن أن تعرف ذلك بمثل أضربه لك لهذا الغرض . هب أن لديك رجلاً يدعى أنه صديقك ومحبك ، ولكن يشهد عمله عند كل بلاء ينزل بك أنه لا يحبك ولا يبالي بما أنت فيه من الشدة ولا يهمه نفعك او ضررك ولا يتحرج أن يأتي لمنفعته الذاتية بكل عمل يجلب اليك الضرر والشدة ويقعد عن كل عمل فيه منفعتك لأنه لا يجد فيه سبيلاً الى منفعته الذاتية ، ولا يمد اليك يد المساعدة عند المصيبة بل يشارك ويشجع الذين يذمونك ويطعنون فيك او يسكت على الأقل عن ردعهم عن ذمك ويساعد أعداءك عندما يكيدون لك او لا يحاول انقاذك من الوقوع في مكايدهم على الاقل — فهل لك أن تظن أن هذا الرجل هو صديقك ومحبك وتصدقه في دعواه ؟ كلا ! فانه يدعى بصداقته لك بلسانه ولا يحبك من قلبه في حقيقة الأمر . ان الصداقة معناها ان يحب الانسان صديقه من قلبه ويخلص له ويواسيه ويواليه ويشاطره كل ما يحل به من الفرح أو الترح ويناصره على أعدائه ولا يرضى أن يسمع أحداً

يذكره بالسوء . واذا لم يكن في المرء كل هـذا ، فهو منـافق كاذب في دعواه .

فقس على هذا المثال ما يجب عليك اذا ادعيت انك مسلم ، فان هذه الدعوى معناها أن تكون فيك الحمية الاسلامية والغيرة على الايمان وحب الدين والنصح الصادق لاخوانك المسلمين ويكون نفـع الاسلام وخير المسلمين نصبَ عينك في كل ما تأتي به من عمل في هـذه الدنيا ولا يصدر عنك عمل مضر للاسلام مخالف لأحكامه ومقاصده ، تحقيقاً لمصلحة من مصالحك او دفعاً لآفة من آفاتك الذاتية . وكذلك يجب عليك أن تشارك بنفسك ومالك في كل عمل فيه خير الاسـلام والمسلمين وتبتعد عن كل عمل يضر الاسلام والمسلمين ، ولا تعتبر عزتك الا في عزة الاسلام والمسلمين ولا تصبر على مذلة الاسـلام والمسلمين كما لا تصبر على مذلة نفسك ، ولا تعـاون أعداء الاسلام والمسلمين كما لا تعاون اعداء نفسك ، وتكون مستعداً لـكل نوع من التضحية بنفسك ومالك دفـاعاً عن الاسلام وذوداً عن كيان المسلمين كما تكون مستعداً لـكل نوع من التضحية دفاعاً عن نفسك . ينبغي أن يكون كل من يقول اني مسلم متصفاً بهذه الصفات والا عُدَّ من المنافقين وشهد عليه عمله بأنه كاذب في دعواه اللسانية .

ومن شعب « حماية الاسلام » هذه « الجهاد في سبيل الله » المعروف في الاسلام ، فان كلة « الجهاد » معناها لغة بذل الجهود واستنفاد القوى في أي أمر من الامور ، وهكذا فـكل من يسعى لاعلاء كلة الاسلام بما عنده من المال والنفس والقلم واللسان ، فانه يجـاهد في سبيل الله من غير شك ، ولـكن تطلق هذه الـكلمة خاصة على الحرب التي يقوم بها

المسلمون في وجوه أعداء الاسلام لا لسبب غير ابتغاء وجه ربهم متجردين عن كل غرض من أغراضهم الدينية . فهـذا الجهاد فرض كفاية على المسلمين في الشريعة الاسلامية ، أي أنه وان كانت ترجـع التبعة فيه على المسلمين جميعاً ، ولـكن هذه التبعة تسقط عنهم اذا قامت به جماعة منهم وادته عن سـائرهم . غير أنه اذا هجم الاعـداء على قطر من الاقطار الاسلامية ، أصبح هذا الجهاد فرض عين على أهـله كالصلاة والصوم . واذا كانوا غير قادرين على الدفاع عن أنفسهم ، فواجب على كل فرد من مسلمي الاقطار التي تجاور أرضهم ان ينصرهم بماله ونفسه . واذا لم تنكسر حملة الاعداء حتى ولا بعد نصرهم ، عاد نصرهم فرض عين على مسلمي الدنيا جميعاً كالصلاة والصوم ، أي أنه اذا تقاعس عن نصرهم أحد منهم في أي قطر من الاقطار ، كان آثماً . وفي مثل هـذه الاحوال يصبح « الجهاد في سبيل الله » أكثر أهمية وأعظم خطورة من الصلاة والصوم فان الايمان يُختبر في الجهاد ، فالذي لا يناصر الاسلام ولا يجـاهد مع المسلمين حتى في حين البلاء والشدة ، فانه مشكوك في ايمـانه مرتاب في اسلامه وأي فائدة تحصل له من صلاته وصومه اذ ذاك ؟ أما المسلم الذي يناوىء الاسلام ويعالىء على المسلمين أعداءهم ، فهو الشقي الذي لا شك في نفاقه قد حبطت صلاته وصومه وزكاته وحجه .